

وفي الخارج خيم الظلام وأمطرت قليلاً. من وقت لآخر يتكلم أحدهم بصوت عالٍ، وفجأة يهدؤون ويتأسفون، متذكرين سهوهم في النهاية. مثلما يجري دائماً، ستكون الاحتفالية على طريقتهم هناك. لكن كل ذلك كانت له نفحة ريح مفزعة.

كان بعيداً عن الحضور، سيّد مسالم ومتواضع يدعى ليوخورخي، المحترم من الجميع، والذي أرسل لأجل داماستور داغوب وجعله واحداً من الموتى. كان داغوب هذا، دون وجه حق، قد هدده بقطع أذنيه. حينذاك، وحالما رآه، تقدم إليه شاهراً خنجره ذا النصل اللامع، لكن الفتى الصامت، والذي حصل على مسدس، رماه بإطلاقه في منتصف الصدر، فوق القلب، وحتى هنا كانت الحكاية. لكن بعد ما حدث، والمرعب في الأمر، أن الأخوة داغوب لم يسعوا للأخذ بثأرهم. على العكس تماماً عجلوا في ترتيب المراسم والدفن. بدا ذلك غريباً. خاصة أن المسكين ليوخورخي قد مكث في القرية، وحيداً في داره، خاضعاً لما هو أسوأ، دون رغبة في القيام بأية حركة.

من يفهم ذلك؟ هؤلاء الأحياء من آل داغوب أكملوا الواجب بكل احترام، هادئين وحتى دون شغب، لكن مع القليل من الغبطة. في البدء تحرك ديرفال الأصغر، بنشاط كبير بين الناس الذين وصلوا أو ممن كانوا في البيت «عذراً للمعاملة السيئة...». دوريكون، الأكبر بين أخوته، الأكثر بدانة، بين حجم الأسد والبغل، بحنك بارز وعينين صغيرتين مسمومتين، كان ينظر إلى الأعلى، وبهدوء تام تلفظ: «لقد أخذته الرب!». والأوسط، ديسموندو، الرجل الجميل، كان عبّر شعور من الورع مذعوراً لرؤيته الجسد فوق المنضدة: «أخي الطيب».

لقد كان الميت بالفعل شحيحاً، أو أكثر من ذلك، كان أمراً وقاسياً، ويعلمون أنه قد احتفظ بكمية معتبرة من المال، حزم ورقية في أحد صناديقه.